الدورة التأهيلية للحياة الزوجية

الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

المحاضرة الأخيرة

24-((ختام الدورة))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم علمنا ما ينفعنا، اللهم انفعنا بما علمتنا، اللهم زدنا علما وعملا متقبلا يا أكرم الأكرمين، أرنا الحق حقا وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك .

وبعد:

نحن في الدرس الرابع والعشرين من دروس الدورة التأهيلية للحياة الزوجية ، وهو الدرس الأخير من دروس هذه الدورة ، نتحدث به عن أهم الأمور التي ينبغي على كلِّ شابٍ مقبلٍ على الزواج أن يتعلمها قبل زواجه وكل فتاة صارت في سن الخطوبة ينبغي على والدها وعلى والدتها وعلى مدرستها في المسجد أن يعلموها هذه الدروس وهذه المحاضرات التي مضت هي أهم ما يتعلق بمسائل الزواج ، وإلا فإن البحث يكون أطول من ذلك .

وإن كنت خلال سنوات التحضير لهذا البحث وقد حضرته في ثلاثة أعوام حتى جاءت هذه المحاضرات الأربعة وعشرون ، كانت هناك عناوين أخرى تتزاحم في فكري وتقع بين يدي ، وكنت أراها مهمة أن تطرح في مسألة الزواج ولكننا سنكتفي بهذه المحاضرات الأربعة والعشرين ولعلنا في أوقاتٍ قادمة نأتي إلى تتمات واستكمالات هذه المواضيع.

نحن تحدثنا في هذه الدورة عن:

دعوة الإسلام إلى الزواج وتحدثنا عن حكم الزواج وتكلمنا عن دوافع الزواج وتحدثنا عن التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج ، ومحاضرة بعنوان خمس نقاط حول الزواج ، ومحاضرة عن الخطبة ، ودرسان في اختيار الزوجة ، ودرس في اختيار الزوج ، ومحاضرة في عقد الزواج ، ودرسٌ في سنن عقد الزواج ، ودرسٌ عنوانه بين العقد والعرس ، ومحاضرةٌ عنوانها ليلة العرس ، ودرسٌ عنوانه الرسول الزوج ودرسٌ الزوجة كما يراها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومحاضرةٌ كيف تؤثر في قلوب المقربين منك ،ودرسٌ ماذا يريد الرجل من المرأة وماذا تريد المرأة من الرجل ، ودرسان عن القواعد المهمة لاحتواء المشاكل الزوجية ، ودرسان في ميزانية الأسرة ، ودرسان في الطلاق .

وذكرنا أن الذي يحلق بالطائرة لا بد أن يتعلم كيف يهبطُ بها ، كل شاب ذاهبٌ إلى الزواج يجب أن يتعلم الطلاق وكذلك الفتاة كي لا يقعون به عن جهل .

واليوم أيها الإخوة خاتمة هذه الدروس ، وأنا أرى في هذه الدورة ضرورة كبرى للشباب والشابات حتى لا نقع في المحظور .

وأخبرتكم بأن جامعة القاهرة أجرت دراسة على زواج الحب ، فوجدوا أن 88% من حالات الزواج انتهت بالطلاق بعد سنة ، وأجروا دراسة أخرى على الزواج التقليدي فشاهدوا أن 70 % من حالات الزواج التقليدي كانت ناجحة .

إذاً أيها الإخوة الحب ليس كلّ شيء بل هو جزء بسيط من عملية الزواج ، ثم إذا كان الإنسان كلما أحب فتاة تزوجها فهناك مشكلة كبيرة .

إذاً ماذا نفعل ، يجب علينا أن ننضبط بالشرع وبتعاليم السماء ..

واليوم في ختام الدورة ، والكلمة التي أريد أن أختم بها هذه الدورة ، وهي خلاصة مكثفة لكل ما مر في هذه الدورة ، وهي خير ما ينفعك في حياتك الزوجية :

إذا كان شرع الله حاكماً بينك وبين زوجتك ، فحياتك سعيدةٌ لا محالة ، وإذا رفع شرع الله من داخل البيت فحياتك شقاءٌ لا محالة .

وهذه هي خلاصة هذه الدورة وكل هذه الدروس وكل هذه المحاضرات ، لذلك أنت عندما تقول لوالد زوجتك : **زوجني ابنتك على كتاب الله وسنة رسول الله .**

إذاً خلاصة هذه الدورة :

إذا كان شرع الله حاكماً بينك وبين زوجتك ، فحياتك لا محالة إلى سعادة

يقول الله تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ النحل:30

وإذا رفعت شرع الله من داخل البيت فحياتك شقاءٌ لا محالة

لأنه يوجد قرارٌ في القرآن من1400سنة **﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾**طه:124 .

هذه هي خلاصة الدورة ، واليوم سأقرأ عليكم وصيتين ، واحدة أوصتها أمٌ لابنتها في ليلة عرسها والوصية الأخرى أوصاها أبٌ إلى ابنته وصهره في ليلة عرسهما .

الوصية الأولى : وصية المرأة الأعرابية لابنتها

وهذه الكلمة والوصية أيها الإخوة يصلح أن تخطط في كروت الأعراس ، وتصلح لكلِّ فتاة قادمة إلى العرس ولو كانت طبيبة أو مهندسة لتتعرف الفتيات كيف يتعاملن مع أزواجهن .

الحارث بن عمرو ملك كندة ، خطب إلى عوف بن محلم الشيباني ابنته ، فلما كان يوم عرسه بها وأرادوا أن يحملوها له ، قالت لها أمها :

أيْ بنية : إنَّ الوصية لو تركت لفضل أدبٍ لتركت لذلك منك ، ولكنَّها تذكرةٌ للغافل ومعونةٌ للعاقل ، ولو أنَّ امرأةً استغنت عن الزوج لغنى أبويها ، وشدة حاجتهما إليها ، كنت أغنى الناس عنه ، ولكنَّ النساء للرجال خلقن ولهنَّ خلق الرجال.

أي بنية: إنَّك فارقت البيت الذي منه خرجت ، وخلفت العش الذي فيه درجت ، إلى رجلٍ لم تعرفيه ، وقرينٍ لم تألفيه ، فأصبح عليك رقيباً ومليكاً ، فكوني له أمةً يكن لك عبداً وشيكاً **واحفظي له خصالاً عشراً ، يكن لك ذخراً...**

أما الأولى والثانية : فالعيش معه بالقناعة وحسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة :فالتفقد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشمَّ منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه فإن تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله والإرعاء (أي الرعاية)على حشمه وعياله، ومِلاكُ الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمراً ولا تُفشين له سراً، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره.

واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاكِ ، وهواه على هواكِ في ما أحببتِ أو كرهتِ ، والله يخير لك .

فما رأيكم أيها الإخوة بوصية هذه الأم الأعرابية ، وتعالوا بنا لننظر إلى النتائج ، ثم احتملت إليه – زفوها – فعظُمَ موقعها منه ، وولدت له سبعة ملوك مَلكوا بعده اليمن .

هذه هي الوصية الأولى

الوصية الثانية : وصية المرأة الأعرابية لابنتها

ولقد سمعت هذه الكلمات من فم الأب وهو يوصي بها ابنته وما سررت بعرس كسروري بهذا العرس ، والأب من أكبر تجار دمشق وأغنيائها ، ولا شك أن الفتاة عائشة في نعيم لدى أبيها .

ذهب الأب فجمع الناس في حفلة العرس وقال أنا أريد أن أقرأ على ابنتي وعلى صهري في هذه الليلة كلمة .

وبعد أن انتهى طلبتُ منه هذه الكلمة لأقرأها لكم كما قرأها هذا الوالد ،
يقول :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرحب بكم جميعاً ، وأعلن أن فرحتي اليوم فرحتان ، الفرحة الأولى : فرحة الحدث السعيد الذي اجتمعنا لأجله ، والفرحة الثانية : هي فرحة الاجتماع بهذه الوجوه النيرة التي نبادل أصحابها الكرام كلّ المحبة .

نشكر كلّ من لبى الدعوة ونلتمس عذراً للذين لم يحضروا ، نجتمع اليوم لنشهر ونعلن أننا نقوم بتأسيس أسرة جديدة ، لبنة طيبة تساهم في بناء المجتمع، نسعى جمعياً ليكون مبنياً على أسسٍ إسلاميةٍ صحيحة وملتزمة وسليمة وواضحة .

اليوم وكما تنتقل كريمتنا من خانة والدها في سجلِّ النفوس إلى خانة زوجها ، فهي أيضاً تنتقل من مسؤولية والدها إلى مسؤولية زوجها ، فاليوم أقدمُ لعريسنا أغلى ما عندي ، وقد بذلت ما بوسعي من جهدٍ في تربيتها وتعليمها ، لقد سعيتُ ما استطعت أن أزرع فيها بذور العقيدة الصحيحة والفطرة السليمة ، وقد نبتت البذور ونمت وأزهرت وصارت جاهزة للإثمار والحمد لله .

لقد احتجت إلى الشد والحزم تارةً ، وإلى التساهل والرفق تارةً أخرى ، وما بين اللين والقسوة استطعتُ أن أفخر اليوم بأن ابنتي فتاةٌ عارفةٌ بحدود الله ، متعلمة مثقفة ، تعلمت واجباتها وتعرف حدودها ، أيها الإخوة إن قبول الخاطب مسؤولية كبيرة تقع على عاتق الوالد بالدرجة الأولى ، وكنت دائماً أخشى إبداء رأيي لمعرفتي بدقة الأمر ، وأحمد الله أنه مع كثرة الخاطبين لم تصل ابنتي ووالدتها إلى مرحلة الموافقة المبدأية قبل أن يتخذا رأيي ، وفي كل مرة كنت أبني في ذهني صورةً للزوج المناسب لابنتي إلى أن أتى عريسنا حفظه الله ، فانشرح صدري عندما علمتُ من هم أهله ، فقد عرفتهم منذ زمنٍ بعيد بحكم القرابة بيننا ، وأول ما

قلت في نفسي هذه هي (الحماية) التي أطمأن أن تكون ابنتي كنتها ، وقلت هذا هو الشاب الذي أرضى بدينه وخُلقه ، وهذه هي العائلة التي ستحتضن ابنتي ، ودعوت : اللهم تمم بخير ،

- والآن هذا الرجل ينصح ابنته ويخاطبها – فيقول :

مطلوبٌ منك يا ابنتي المؤمنة :

أن تكوني مطيعةً ، أدي ما عليكِ واطلبي من الله ما لكِ وتذكري أن القناعة والرضا مع الإيمان هي مفاتيح السعادة .

ومطلوبٌ منك يا بني : – للعريس–

أن تكون رؤوفاً عطوفاً ،تستمع بما عند زوجتك من خصالٍ تحبها وتحمدُ الله ، وتصوب على ما تحب من خصالها باللين والمحبة ، كن حازماً ولا تتساهل أبداً في ما لا يرضي الله ، وإياك والغضب فإنه أحدُ مفاتيح التعاسة وخراب البيوت .

ومطلوبٌ منكما :

التسامح فكلما رأى أحدكم عيباً أو ما لا يروق له في زوجه فليتذكر أن الكمال لا يكون إلا لله وحده ، وأن الإصلاح يكون بالحسنى ، وأن لكلٍ منكما دوره فلا يبغي أحدٌ على شريكه ولتتعاونوا على صعاب الحياة لتهون عليكم.

في ختام كلمتي لا يسعني إلا أن أدعو الله للعروسين بخير الدعاء من كتاب الله عزّ وجل

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**﴾ الفرقان:74

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ غافر :8

صدق الله العظيم

أيها الأباء ، أيها الأمهات ، أيها الإخوة والأخوات انتهت الدورة التأهيلية للحياة الزوجية ، ومنيتي أن لا يتزوج شابٌ إلا بعد أن يتدرب في هذه الدورة ، ومنيتي أن تتحول هذه الدورة إلى دورات تدريبية مأجورة لتأهيل الشباب إلى الزواج ، فنقوم بامتحان الشباب المقبلين على الزواج ، فإن نجح في الدورة زوجناه وإلا فلا نزوجه ، ويجب أن نطبق هذا الدورة بشكل عملي ، فندرب الشباب على كظم الغيظ والهدوء وحسن التعامل مع زوجاتهم وكذلك الزوجات .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا ، اللهم وفق بين كلِّ زوجين ، اللهم إن التوفيق مفاتحه في يدك ، اللهم فإنا نسألك أن توفق بين كلِّ زوجين من المسلمين ، اللهم وأن تعين كل متزوجٍ على طاعتك ، اللهم وأن تحبب وتلين لنا أخلاقنا ، اللهم أصلح لنا أقوالنا وأفعالنا وحركاتنا وسكناتنا ، أصلح لنا في ذرارينا ، وأعن المتزوجين فينا ، اللهم وهيئ لكل شابٍ أعزب داراً واسعة ترضيه وزوجة صالحة موافقة تسعده ، ولكلِّ فتاة وهيئ لكل فتاة عازبة زوجاً صالحاً ، حسنَ الخُلق والخلق ، غني الأخلاق والمال ، اللهم وأغني كل زوجٍ بزوجته وأغني كلَّ زوجةٍ بزوجها ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، اللهم احفظنا من أهل السوء والفجور ، ولا تجعل للشيطان علينا سبيلا .

والحمد لله رب العالمين